

مئذنة أربيل (المئذنة المظفرية)

(586-630هـ / 1190-1232م)

دراسة عمارية، فنية، ميدانية

زيدان رشيد خان أودل البرادوستي

الملخص

هناك أهمية خاصة لمدينة أربيل تأتي من موقعها المتميز بين نهري الزاب الأعلى والأسفل في شرقي نهر دجلة. وخير شاهد على هذه الأهمية، مثلما هو باعث لها، عراقتها في التاريخ. فهي المدينة التي نشأت في عصور ما قبل التاريخ واستمرت إلى اليوم باسمها القديم نفسه، وهو الاسم الذي ظهر في النصوص المسمارية منذ العصور المبكرة للكتابة قبل الألف الثالث قبل الميلاد وهذا ما يجعلها أقدم مدينة مستمرة بالاسم نفسه على وجه الأرض.

ومن هنا تكون دراسة مئذنة هذه المدينة المتميزة وسيلة لإلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب تاريخ أربيل له صلة وثيقة بموقعها الاستراتيجي، وهو الجانب السياحي حالياً فضلاً عن الجانب المعماري وتطوره. ولذلك هذا البحث له مسارين في منهجه، الأول يتناول تاريخ المدينة وتطورها عبر العصور، والثاني دراسة مئذنتها معمارياً وفنياً وتعزيز ذلك بالدراسة الميدانية لها مما هيأ للبحث منفذاً للريادة في مجاله. ومن قبيل هذا أن البحث يتضمن مجموعة من الرسوم والأشكال التوضيحية التي أعدت عن هذه المئذنة تنشر لأول مرة.

Erbil's Minaret (Mudhafaria Minaret) (1190 – 1232 AD.) – (586-630 H.)

Zeydan Rashid Khan Al-Baradosti

Abstract

Erbil is located between Lower Zab river and Upper Zab river to the east of the Tigris river. It is one of the oldest continuously inhabited cities in the world, as its city name can be dated back to ancient Assyrian texts.

The study of Erbil's Minaret is therefore of paramount significance, as it would shed light on the strategic location of the city and its various touristic and architectural dimensions. The first part of the study would examine the history of the city and its development through the ages, whereas the second part would focus on the field study and the architectural design of the minaret. The research features some graphics and figures to be published for the first time.

مدينة أربيل، الموقع والتسمية :

قبل أن نتطرق إلى مئذنة أربيل لابد وأن نتحدث بشيء من الإيجاز عن مدينة أربيل التي احتضنت هذا الأثر الرائع.

تقع مدينة أربيل في الجهة الشمالية الشرقية من العراق على خط الطول (2،44) درجة شمالاً وخط العرض (12،36) درجة شرقاً، ويحدها من الشمال تركيا ومن الشرق إيران ومن الغرب محافظة نينوى ومن الجنوب محافظتا السليمانية وكركوك، وقد أكسبها هذا الموقع الجغرافي أهمية ليس فقط في سهولة اتصالها مع المدن العراقية وإنما مع الدول المجاورة المختلفة (الخريطة 1) (الجنابي، 1987: 19-20؛ كه زنه ي، 1997: 8؛ محمد، 2003: 3).

وقد اكتسبت أهمية كبيرة من خلال وقوعها بين الزابيين الأعلى والأسفل(1) (أبو الفداء، 1840 ؛ القزويني، 1960 ؛ أبو حجر، 2001: 229)

أما التسمية فقد ورد اسم مدينة أربيل بكثرة في الكتابات التاريخية في مختلف الفترات، وكانت أربيل إحدى المدن الآشورية التي احتفظت باسمها القديم إلى يومنا هذا (الحيدري، 1983: 953). وقد ورد اسم المدينة لأول مرة في كتابات الملك السومري شولكي نحو (2000) ق.م بصيغة {أوربليون - Ourbillion} أو {أوربليوم - Urbilum} (الحسني، 1982: 237؛ Ramith، 2004: 44؛ رسول، 2005: 19)، أما الصيغة المألوفة التي ورد فيها اسم أربيل في النصوص البابلية والآشورية فهي {أربائيلو} أي {أربعة آلهة} (كه زنه ي، 1997؛ Jabri، 2004: 22؛ Ramith، 2004: 44) واشتهرت أربيل في المصادر الآشورية بأنها مركز الآلهة الآشورية - البابلية الشهيرة (عشتار) وقد سميت (بعشتار أربائيلو) تمييزاً لها عن عشتار نينوى وعشتار أكد (حسني، 2000: 117)، بينما ذكرتها المصادر اليونانية القديمة باسم (أربيللا) (الحيدري، 1983: 53)، ووردت في الكتابات الفارسية باسم (أربيرة) (اللجنة الإعلامية لمهرجان محافظة أربيل، 1986: 26؛ الجنابي، 1987: 9)، وأطلق عليها العرب اسم (أربل) (الحموي، 1995: 1؛ ابن العديم، 1997/2: 566؛ جميل، 1969: 221؛ فرنسيس وعواد، 1952: 250).

وفي اللغة الكوردية تعرف باسم (هه ولير) ويشير بعض المؤرخين إلى أن هذه التسمية قديمة وتطورت من كلمة (خولير) أي معبد الشمس (الجنابي، 1987: 9)، ويذكر أن كلمة (هه ولير) مأخوذة من (هاليرييه) أي هاهنا يطلقها المسافرون عند وصولهم للمدينة بعد عناء سفر (الجاوشلي، 1985: 17؛ ديركي، 1998: 153).

ويرى الآخرون بأن كلمة (هه ولير) وردت بهذا الشكل (أربيل - أربيل - أرويل - أوريل - هوربيل - هه ولير) (الحسني، 1982: 236 ؛ اللجنة الإعلامية لمهرجان محافظة أربيل، 1986 ؛ كه زنه ي، 1997: 5-10)

تاريخ المدينة

تعتبر أربيل من المدن القديمة خاصة وأن هناك الكثير من الكهوف والمغاور القريبة من المدينة سكنت منذ العصور الحجرية القديمة ومنها كهف شاندر(2)، حيث سكن إنسان النياندرتال هذا الكهف لفترة طويلة من الزمن، وأمكن تحديد زمن هذا الدور من الكهف مابين (60,000 - 45,000 ق.م) عام (الدور المستيري، الدور البرادوستي) (باقر، 1974: 179) وبعد أن غادر الإنسان القديم الكهوف واتجه نحو السهل بدأت الطلائع الأولى للقرى الزراعية التي ظهرت في الألف السادس ق.م (إسماعيل، 1998: 52).

وقد ضم مركز أربيل عدداً غير قليل من التلول الأثرية المهمة، حيث أسفرت أعمال التنقيب في تل (قلينج آغا) (3) على بقايا لأحد المعابد وهو مشيد على مصطبة من اللبن يعود تاريخه إلى دور الوركاء الرابع (باقر، 1974: 237)

وفي العصر الاكدي (2370- 2160 ق.م) (4) خضعت أربيل لنفوذ الإمبراطورية الاكدية، حيث استطاع سرجون الاكدي (2371- 2316 ق.م) فرض سيطرته على مدن آشور ونيوى ومناطق عديدة في الشمال الشرقي من العراق (باقر وآخرون، 1987: 146-147 ؛ درويش وآخرون، 1960: 128).

وبعد سقوط الدولة الاكدية على يد الكوتيين(5)، خضعت أربيل وكركوك لنفوذ الدولة الأخيرة، وأصبحت أربيل في هذه الفترة إحدى قواعد الكوتيين الرئيسية (الجنابي، 1987: 10) ثم انحسر نفوذ الكوتيين عنها بعد غيابهم عن المسرح السياسي ومجيء سلالة أور السومرية التي أطلق عليها سلالة أور الثالثة (2113- 2006 ق.م) (سليمان والفتيان، 1987: 109) وكان من الصعوبة بمكان على السومريين الاحتفاظ بمدينة أربيل لبعدها عن المملكة السومرية في الجنوب (الجنابي، 1987: 10 ؛ كه زنه ي، 1997: 10) بعدها استطاع العيلاميون(6) والأموريون(7) من تقويض دعائم مملكة أور والقضاء عليها (باقر: 1974: 392) ثم خضعت أربيل تحت حكم مملكة اشنونا(2000؟ - 1761 ق.م) (8) واستطاع أحد ملوكها توسيع رقعة نفوذه حيث احتل الكثير من المدن مثل مدينة (رابيقم) (9) على الفرات وأشور على دجلة و (قبارا) في سهل أربيل (باقر وآخرون، 1987: 176) وكانت نهاية مملكة اشنونا عام (1761 ق.م) على

يد حمورابي (1794-1750 ق.م)، حيث قاد هذا الملك حملة عسكرية كبيرة نحو أراضي كوردستان وتمكن من القضاء على تحالف العيلامي - السوباري فضلا عن القضاء على مملكة اشنونا (عبدالصمد، 2004: 100-101).

في العصر الآشوري أصبحت أربيل من عداد أمهات المدن الآشورية (الحسني، 1982: 87)، حيث اتخذوها منذ الألف الأول، قبل الميلاد كقلعة حصينة، ومركزا مهما للإدارة إضافة إلى اتخاذها - أيضا - كمخازن استراتيجيه لتمويل عملياتهم العسكرية (ساكر، 1999: 14) ومن جملة اهتمامهم بهذه المدينة فقد جلب إليها سنحاريب (704-681 ق.م) الماء من نهر الباستور (البستورة حاليا) الذي يبعد عن شرقها حوالي 25 كم بواسطة أنفاق ودهاليز تحت الأرض (الحسني، 1982: 87) وازدادت أهميتها أكثر حينما أمست إحدى المدن الآشورية المقدسة (إسماعيل، 1998، 52-56).

وفي عام (612 ق.م) سقطت الدولة الآشورية على يد الميديين والكلدانيين ودخلت ضمن نفوذ الميديين (الجنابي، 1987: 10 ؛ ديركي، 1998: 157-158)، كما شهدت سهول أربيل المعركة الفاصلة بين قوات الاسكندر المقدوني وجيوش داريوس الاخميني عام (331 ق.م) وسميت المعركة باسم أربيل أو (كوكمبلا) (آغا، 2004: 9-10) وعلى أثرها خضعت أربيل للدولة السلوقية التي تمكن الفرثيون (148 ق.م - 226م) من القضاء عليها وتكوين عدة إمارات كإمارة الرها وتدمر وسنجر وأخيرا حدياب التي كانت أربيل إحدى مدنها الشهيرة، وتعرضت أربيل في هذه الفترة إلى غزوات الرومان.

ثم ورث الساسانيون عام (226 - 636م) أملاك الفرثيين وأصبحت أربيل من المدن الخاضعة لهم، وفي أواخر ملوك هذه الدولة اشتد الصراع بين الساسانيين والرومان وأصبحت أربيل والمنطقة الشمالية عامة مسرحا لحروب عديدة (جميل، 1969: 230-233 ؛ الجنابي، 1987: 11 ، كه زنه ي، 1997: 6).

وفي العصر الإسلامي- وبعد أن توطدت دعائم الإسلام - انطلقت جحافل المسلمين الفاتحين إلى أصقاع شتى، وقد وصلت طلائع جيوش المسلمين بقيادة الصحابي عتبة بن فرقد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى المناطق الكوردية عام (16هـ / 637م)، واستمرت صفحات التحرير حتى عام (25هـ / 645م) في فترة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) دخل الإسلام فيها وأسلم غالبية الكورد وهي دلالة على أن انتشار الإسلام في غالبية مناطق كوردستان كان بشكل سلمي وباقبال الكورد أنفسهم (البلادري: 1983: 176-213) بعدها لم يكن لمدينة أربيل أي شأن سياسي طوال العصر الأموي إلا أنه

بالقرب منها وقعت المعركة الفاصلة بين العباسيين والأمويين التي عرفت بمعركة الزاب والتي قتل فيها الخليفة الأموي مروان بن محمد، حيث كانت نهاية الدولة الأموية سنة 132هـ (جميل، 1969: 233).

وفي القرن (6 هـ / 12م) أصبحت أربيل جزءاً من أتابكية الموصل بعد أن فتحها عماد الدين زنكي وسلمها في الحال إلى قائد جيشه الأمير زين الدين علي كجك ابن بكتكين مؤسس أتابكية أربيل. ونجد أن هذا الأمير لم يكن يحكم هذه المدينة حكماً مباشراً، بل عن طريق نائب له، باسم أبو منصور سرفتكين الذي توفي سنة (559هـ / 1163م) ثم عين بعده مجاهد الدين قايمار الذي استمر بحكم هذه الإمارة حتى بعد وفاة صاحب أربيل زين الدين علي كجك (563هـ / 1164م) (حسين، 1976: 8).

أما أشهر من حكم أربيل في هذه الفترة فهو السلطان مظفر الدين كوكبري (586-630 هـ / 1190-1232م) الذي غدت إمارته أقوى الإمارات وأكثرها نفوذاً وازدهاراً بالعلم والعلماء (ديركي 1998: 159). واهتم - أيضاً - بالنواحي العمرانية خاصة قلعة أربيل التي كانت تعد بمثابة المدينة المحكمة والحصينة.

ولذلك تعد قلعة أربيل من القلاع الحصينة على مر العصور، حيث وقفت كثيراً أمام أطماع الغزاة والطامعين وقد ورد ذكرها على لسان ياقوت الحموي بقوله " قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط، وأصبحت قلعتها بخندق عميق، وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وعلى تل عال من التراب، عظيم واسع الرأس، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهي شبيهة بقلعة حلب، إلا أنها أكبر وأوسع رقعة " (الحموي، 1/ 1995: 138).

وتعتبر قلعتها اليوم نموذجاً فريداً ليس في كوردستان العراق فحسب وإنما على مستوى عالمي من خلال أهميتها الأثرية والسياحية وتعد القلعة نفسها أثراً طوبوغرافياً بارزاً في أربيل ترتفع إلى علو (25م) عن الأماكن المجاورة لها وتشغل مساحة قدرها 110 آلاف متر مربع (Abid, 2004: 10-11).

وفي عام (656 هـ / 1258م) دخل المغول المدينة، ولكن القلعة صمدت بوجه هولاكو لمدة ستة أشهر قبل أن تستسلم، ثم سقطت بيد المغول وأصبحت أربيل جزءاً من الدولة المغولية (656 - 738 هـ / 1258 - 1338م) (الغزوي ، 1935: 343). وبعد المغول خضعت أربيل للجلائريين (739 - 814 هـ / 1338 - 1411م) ثم تعرضت لغزوات تيمورلنك بعدها خضعت لدولتي القره

قوينلو (813-875هـ / 1410-1470م) واق قوينلو (875-924هـ / 1470-1518م) ثم عاد الصفويون وضموها إلى امبراطوريتهم، وذلك بعد أن هزم الفرس أمام السلطان سليم الثاني العثماني سنة (920هـ / 1514م) في معركة جالديران (الباشا، 2007: 7).

المئذنة المظرفية (أربيل) (586-630 هـ / 1190-1232م)

الموقع والتسمية

تقع مئذنة أربيل في ظاهر مدينة أربيل من جهتها الغربية (القران، 1960: 41) (شكل 1، مخطط 1)، على بعد نحو كيلو متر واحد تقريباً من القلعة.

وقد سميت بالمنارة المظرفية نسبة إلى السلطان مظفر الدين أبو سعيد كوكبري (باقر و فؤاد سفر، 1966: 6؛ يوسف، 1982: 441)، وسميت أيضاً- بمئذنة أربيل نسبة إلى مدينة أربيل ... وتسمى كذلك بمنارة جولي(10).

تاريخ المئذنة

يشير بعض الباحثين إلى أن تاريخ بنائها يعود إلى عهد السلطان مظفر الدين كوكبري الذي حكم أربيل وضواحيها بين عام (586-630هـ / 1190-1233م) (Hersfeld and Sarre، 1920: 317؛ إسماعيل، 1997؛ Michell، 1978: 249؛ Aj-Janab، 1983: 50-51).

ومن خلال أعمال التنقيب التي أجريت في موقع المئذنة حيث تم استظهار بقايا أسس لأحد الجوامع ولدى دراسة الطابوق الذي استخدم في بناء الأسس السفلى ومعرفة قياسات ذلك الطابوق أمكن تقدير فترة تاريخ الجامع أعلاه إلى نهاية العصر الأموي أو بداية العصر العباسي وأن الطابوق المستخدم في بناء المئذنة تختلف قياساته عن قياسات الجامع لأنه أكبر حجماً، وعليه فإن المئذنة قد شيدت في فترة متأخرة عن زمن تشيد الجامع (حسين، 1962: 85-86).

وعلى ما يبدو أن بقايا هذا الجامع كانت موجودة في أثناء زيارة نيبور أربيل سنة 1766م، حيث ذكر أنه ليس في هذه المدينة آثار شاخصة ماعدا بقايا الجامع الكبير، التي أشار إلى أنها من آثار السلطان مظفر الدين كوكبري (نيبور، 1965: 90).

ولذلك نؤيد ما ذهب إليه نيبور حول علاقة المئذنة بأحد الجوامع القديمة، حيث ذكر ابن المستوفي (توفي سنة 637هـ / 1239م) أن هناك جامعاً في أربيل سماه بـ ((المسجد الجامع باربل)) وذكر- أيضاً- بأن مظفر الدين كوكبري بنى مدرسة في أربيل باسم مدرسة المظرفية (ابن المستوفي، 1/ 1980: 232، 328).

وفي عام (1820م) زار كلوديوس ريج مدينة أربيل وذكر أن جامعها لم يبق منه شيئاً، أما المئذنة فذكر أن ارتفاعها كان 121 قدماً، ومحيط قطرها 21 قدماً (ريج، 1992: 342-343).

وقد أشار الكثير من الباحثين إلى أن مئذنة أربيل تشبه إلى حد كبير من حيث الطراز المعماري والزخرفي مآذن الحدياء وسنجان وداقوق (Hersfeld and Sarre, 1920: 317-318؛ القزاز، 1960: 127؛ باقر وسفر، 1966: 6).

الوصف المعماري:

مادة البناء:

استخدمت مادة الحجر والجص في الأسس السفلى التي تقوم عليها المئذنة، أما القاعدة والبدن فقد بنيا بالطابوق والجص وكذلك تم استخدام بعض القطع من القرميد (الخزف المزجج) باللون الأزرق الشذري (سلمان وآخرون، 1982: 180).

المدخل

يحتوي القسم السفلي من القاعدة على مدخلين الأول يقع في الجانب الشرقي من القاعدة في أحد الحنايا (في القسم الأسفل من الحنية) وهو مستطيل الشكل ربما كان يعلوه عقد نصف دائري يؤدي إلى السلم الداخلي للمئذنة، والمدخل المذكور كان مفتوحاً على فناء الجامع (شكل 2)، أما المدخل الثاني ويقع في الجانب الغربي خارج سور الجامع (شكل 3) ومن المحتمل أن هناك غرفة أو مكاناً مخصصاً للمؤذن في هذا المكان، والمدخل المذكور مستطيل الشكل -أيضاً- عرضه (10م) وهو يؤدي إلى سلم الخارجي للمئذنة.

ويضم أسفل البدن في النطاق الأول الخال من الزخارف مدخلين، المدخل الأول في الجهة الشمالية وهو مستطيل الشكل يعلوه عقد مدبب قليلاً ارتفاعه 180سم وعرضه 70سم يؤدي إلى السلم الداخلي للمئذنة والمدخل الثاني في الجهة الجنوبية وهو يشبه المدخل الأول وبنفس القياسات ويؤدي إلى السلم الخارجي للمئذنة (11).

ومن العناصر المعمارية في المئذنة المدخلان وسبب بناء هذه السلالم المزدوجة هو الناحية الإنشائية، لأنها أدت إلى مضاعفة التجويف داخل بدن المئذنة وشد المواد نحو المركز كما أنها قللت الثقل على المئذنة أما الغرض من استعمال الطابوق والمادة الرابطة بدلاً من الأحجار فيعود إلى كون الطابوق مادة تقاوم

ظروف الطبيعة يضاف إلى ذلك خفة وزنها مقارنة بالمواد الأخرى وبهذا فإن المعمار كان موفقاً في اختيار المواد اللازمة للبناء، وأن السلالم المزدوجة كانت موجودة في الموصل في مئذنة الحدياء (566-568 هـ / 1170-1172م) .
السلالم

تحتوي مئذنة أربيل على سلمان ((درجان)) منفصلان عن بعضهما البعض بحيث إذا صعد شخصان أحدهما من السلم الداخلي والآخر من السلم الخارجي لا يرى أحدهما الآخر، إذ يفصل بين السلمين جدار، وهذه ميزة تمتاز بها مئذنة أربيل (شكل 4) ولكل سلم مدخل خاص به فالمدخل الشرقي يؤدي إلى السلم الداخلي والمدخل الغربي يؤدي إلى السلم الخارجي، ويحتوي السلم الداخلي على (140) مرقاة (درجة) وعند ارتفاع 24 مرقاة يصل الشخص إلى النافذة التي تقع في الجهة الغربية فوق الحنية للقسم الثاني من القاعدة، أما السلم الخارجي فيحتوي على (128) مرقاة وربما يرجع السبب في نقص عدد درجات السلم الخارجي بالنسبة للسلم الداخلي إلى أن حجم السلم الخارجي أكبر من السلم الداخلي، وبما أن السلم بشكل حلزوني نتج عنه أن يكون عرض الدرجة الواحدة من (13 سم) إلى (23 سم) والطول (90 سم) والارتفاع (23 سم) ، أصيب السلمين بتهدم في الجزء العلوي منهما(12).

القاعدة :

من حيث الشكل قاعدة مئذنة أربيل مئذنة (شكل 5) يبلغ ارتفاعها 14،70م، وسمك جدرانها 1،75م في أسفل القاعدة، ومن حيث الزخارف تقسم القاعدة إلى قسمين وهي:

القسم الأول:

يلتصق بالجدار الشمالي الغربي للمسجد وقد أدى هذا إلى أن يكون هذا القسم سباعي وليس ثماني الشكل كباقي الأجزاء.

أما قياسات القاعدة عند القسم الأول فهي كالآتي، الضلع الغربي والملتصق بجدار المسجد طوله 5،10 م ، والضلع الشمالي الملصق - أيضاً- بجدار المسجد يبلغ طوله 5م، ويبلغ طول الضلع الشمالي الشرقي 5،3م ، وطول الضلع الشرقي 3م ، وطول الضلعين الجنوبي الشرقي والجنوبي 2،95م، أما الضلع الجنوبي الغربي فيبلغ طوله 3،5م، ويبلغ قطر المئذنة 7،25م من أسفل القاعدة.

وأن الجزء السفلي من القسم الأول من القاعدة الذي يبلغ ارتفاعه 1،90م خالٍ

من الزخارف (شكل 44، ص 170). وتقع فوقه الحنايا المستطيلة الشكل، إذ يحتوي القسم الأول من القاعدة على خمسة حنايا عرض كل منها 1م75، وارتفاعها 3م تقريباً، وهذه الحنايا مقسمة على الأضلاع باستثناء الضلع الشمالي، والشمال الغربي والغربي، وتنتهي جميع هذه الحنايا بعقد مدبب (13).

القسم الثاني من القاعدة مثنى الأضلاع لكون ارتفاع سور الجامع ينتهي بارتفاع القسم الأول من القاعدة (Michell، 249: 1978). وزينت الحنايا في كل من قسمي القاعدة بإطار مستطيل يضم في داخله عقداً مدبباً وهناك شريط ضيق يتوج حنايا الصف العلوي من القاعدة والراجح أنه كان مشغولاً بكتابة كوفية سجل فيها اسم باني هذه المئذنة وسنة بنائها، كما هو عليه الحال في مئذنة سنجار، وأن هذا الشبه يتكرر بوجود شريط آخر يعلو هذا الشريط، ويتكون من حنايا ذات إطار مربع، وعقود منفرجة صغيرة نسبياً، وعددها أربعة لكل وجه من وجوه القاعدة المئذنة، ولكن عقود هذه الحنايا غير بارزة إلى الأمام مثل عقود حنايا مئذنة سنجار (سلمان وآخرون، 1982: 181). ويبلغ عددها اثنين وثلاثين حنية وتحت شريط الحنايا اثنان وثلاثون من القسم الثاني من القاعدة يتوج القاعدة شريط ضيق نسبياً ويمكن أن يكون الشريط مملوءاً بكتابات تذكارية (حميد، 1985: 72).

إن القسم الثاني (العلوي) من القاعدة مثنى الشكل، ويوجد في كل من أضلاعه الثمانية حنية تقع فوق حنايا القسم الأول من القاعدة، ويفصل بينهما شريط زخرفي قوامه زخارف هندسية ناتجة من صف لأجر بشكل أفقي وعمودي (شكل 6، مخطط 2). وهناك نافذة (ارتفاعها 1.50م وعرضها 0.90م) وتقع في الضلع الغربي من القسم الثاني من القاعدة ووظيفتها تزويد المئذنة بالضوء إضافة إلى التهوية (شكل 7)، وتنتهي هذه النافذة بعقد مدبب تعلوه كتابة يقرأ منها (عمل الحا... مسعود ابن أبي سعد) وهو اسم المعمار الذي بنى المئذنة (شكل 8).

ومن الجدير بالذكر أن الزخارف الموجودة داخل حنايا القسم الأول والثاني من القاعدة تحتوي على زخرفة اجرية مزججة باللون الأزرق والزخارف منفذة بأسلوب قص الطابوق، وزخارف حنايا القسم الأول قوامها مربعات صغيرة يزينها صليب معقوف ويشتمل باطن كل حنية على 30 مربعاً زخرفياً تقريباً، ويحف بها إطار تزيينه زخارف هندسية على مضلعات مختلفة (شكل 9، مخطط 3)، أما حنايا القسم الثاني فقوام زخرفتها أطباق نجمية تشتمل على أشكال ثمانية الأضلاع، وتتوسط بعض منها نجمة رباعية الأطراف، إضافة إلى بعض الأشكال الهندسية المتداخلة وتزين كوشة عقد هذه الحنايا مجموعة من زخارف، بعضها على هيئة مضلعات دائرية، وأخرى نجميات سداسية، إضافة إلى أشكال هندسية أخرى

(شكل، 10، مخطط 4) ونود أن نشير هنا إلى أن حنايا القسم الأعلى من القاعدة أكبر حجماً من الحنايا السفلى، ما عدا الحنايا التي تواجه جدار المسجد، فهي أصغر حجماً، وعلى ما يبدو أن جميع هذه الأشكال كانت مزينة بالخزف المزجج إلا أن قسماً منها تساقط (14).

ينتهي القسم الثاني من القاعدة بشريط زخرفي، وهو نفس الشريط الذي يفصل القسم الأول من القاعدة عن القسم الثاني، ويعلو هذه الشريط شريط آخر خال من الزخارف غائر نسبياً، ربما كانت تزيينه بعض الزخارف، ويأتي بعده صف من الحنايا مجموعها 32 حنية مقسمة على أضلاعها الثمانية يضم كل ضلع من الأضلاع الثمانية أربعة حنايا، تنتهي بعقد نصف دائري مرتفع قليلاً عن جهته الوسطى والعليا، وتشتمل كل حنية على 20 نجمة تقريبا ذات أربعة أطراف (شكل 11، مخطط 5). وقبل الوصول إلى نهاية القاعدة هناك شريطان يقع الأول فوق الحنايا آنفة الذكر وهو خال من الزخارف ويعلوه شريط مزخرف مثل الشريط الذي يفصل القسم الأول عن القسم الثاني من القاعدة.

وتنتهي القاعدة بالحوض المخصص للأذان الذي يلتف حول البدن ويبلغ عرضه (0،85م) (15).

ومما يشار إليه أن التشكيلات الزخرفية المزججة في قاعدة متدنة أربيل تشبه التشكيلات الزخرفية الاجرية غير المزججة التي تحلي قاعدة متدنة سنجار، فضلاً عن أن الفنان المسلم أبدع في رصف الطابوق الذي يؤطر حنايا هذه القاعدة، وبهذا تكون قاعدة متدنة أربيل من أهم وأجمل قواعد مآذن العراق (سلمان وآخرون، 1982: 18).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين ذكروا أن هناك ست حنايا في القسم الأول من القاعدة، أما الوجهان الآخران فيتصل بهما جدار الجامع عند الزاوية الشمالية الشرقية (سلمان وآخرون، 1982: 180؛ حميد، 1985: 73) ونود أن نشير هنا إلى أن هناك خمس حنايا في القسم الأول فقط من القاعدة وثلاثة وجوه يتصل بهما جدار الجامع عند زاويتي الشمالية الغربية وليس الشمالية الشرقية.

البدن :

وهو مبني بالطابوق والجص ويشتمل على أربعة أنطقة مزخرفة بزخارف جميلة وتحصر بين الأنطقة أعلاه أشربة صغيرة مزدانة ببعض الزخارف، ويبلغ ارتفاع البدن في أعلى نقطة (20،80م) وسمك جدار البدن من الأسفل (0،90م) أما من الأعلى (0،60م) وقطره عند أعلى نقطة (2،80م) وقد تعرض قسم من هذا البدن إلى السقوط (شكل 12).

وفيما يلي وصف لذلك :

يرتكز البدن على حوض المئذنة مباشرة من خلال جزء من البدن خال من الزخرفة، ويتخلله مدخلان كبيران يؤديان إلى سلالمة المئذنة، وارتفاع كل منهما بارتفاع هذا الجزء الخالي من الزخارف ويلي ذلك النطاق الأول.

النطاق الأول :

قوام زخرفته معينات متتابعة، نجمت من خلال رصف الطابوق بأوضاع مختلفة، وقسم من هذه المعينات متجهة رؤوسها للأعلى والأخرى للأسفل وقد رصف الطابوق الذي يؤلف تشكيلة المعينات بشكل بارز قليلا (شكل 13، مخطط 6).

الشريط الأول :

ويفصل الشريط الأول بين النطاق الأول والثاني قوامها أشكال هندسية سداسية الأضلاع غائرة قليلا وتزينها قطع من القراميد (خزف المزجج) الذي مازالت آثاره باقية حتى الآن (شكل 14، مخطط 7).

النطاق الثاني :

يشتمل هذا النطاق على أشكال هندسية قوامها مربعات قائمة على رؤوسها، وقد استطاع المعمار من خلال التفنن في رصف الطابوق إلى إظهار هذه الأشكال الهندسية الجميلة المتداخلة، وربما هناك بعض الكلمات تتداخل مع هذه الزخارف ومنها كلمة (محمد) (شكل 15، مخطط 8).

الشريط الثاني :

زخرفة كتابية مزججة بالخط الكوفي المربع تحمل كلمة (محمد) بأوضاع معكوسة (شكل 16، مخطط 9).

النطاق الثالث :

زخارف هذا النطاق تضم أشكالا هندسية على هيئة معينات ومربعات وخطوط مستقيمة ومنكسرة، ظهرت من خلال التلاعب في رصف الطابوق، ويبدو - أيضا - أن هناك بعض الكلمات قد حاول المعمار أن يوجدها من خلال تداخل الأشكال الهندسية مع بعضها ومنها كلمة (صلو) (شكل 17، مخطط 10) (16).

الشريط الثالث :

هذا الشريط على غرار الشريط الأول من حيث التشكيلة الزخرفية (شكل 18، مخطط 11).

النطاق الرابع :

ويضم هذا النطاق زخرفة على هيئة معينات كبيرة متتابعة كل معين منها يضم بداخله زخرفة تشتمل على مربع صغير قائم على رأسه في الوسط أربع مربعات صغيرة، يتصل كل منها بأحد زواياه المربع الوسطي، وهذه الأشكال متصلة مع بعضها البعض، وكذلك وجود خطوط مستقيمة صغيرة باتجاه أضلاع المربع الأوسط، وقد نفذت جميع هذه الزخارف بشكل بارز، وأن الجزء العلوي من الناحية الجنوبية للبدن قد تعرض إلى التهدم (شكل 19، مخطط 12).

الشريط الرابع :

يقع فوق النطاق الرابع، وقد تهدم هذا الشريط مع الجزء العلوي للمئذنة أما آثاره فباقية في الجهة الشمالية (شكل 20).

لقد اختلف الباحثون الذين تناولوا الحديث عن هذه المئذنة خاصة فيما يتعلق بارتفاعها الكلي، فقد أشار بعضهم إلى أن ارتفاعها 32م (الحيدري، 1983 ؛ يوسف، 1982: 441) وذكر آخرون (طه باقر وفؤاد سفر) أن ارتفاعها يبلغ 37م (باقر وسفر، 1966: 6) وربما أن الأرقام الذي ذكرت أعلاه قد قدرت على وجه التخمين وقد قمنا بقياس ارتفاعها من أعلى نقطة وحتى أسفل قاعدتها فبلغ (50،35م)

النوافذ

يضم بدن مئذنة أربيل خمسة نوافذ كل واحدة منها ذات أربعة قطاعات وظيفتها للإضاءة والتهوية، وهي متساوية القياسات تقريبا إذ يبلغ ارتفاع النافذة 38سم وعرضها 22 سم من الخارج، أما من الداخل فيكون القياس أكبر حيث يكون الارتفاع 68 سم والعرض 60 سم (شكل 21) وأن هذا الاختلاف في قياسات هذه النوافذ من الخارج والداخل؛ لإمكان دخول أكبر حزمة ضوئية إلى الداخل لإنارة السلام (17). وهذا الأسلوب متعارف عليه في الكثير من المباني في العراق خاصة في مدينة الحضر الأثرية (18).

يشتمل النطاق الثاني على نافذتين الأولى في الجهة الغربية وأخرى في الجهة الجنوبية الشرقية، أما النطاق الثالث يحتوي على نافذتين في الجهة الغربية والجنوبية الشرقية، أما النافذة الخامسة فتقع في أعلى النطاق الرابع في جهته الشرقية (19).

وتعتبر المئذنة المظرفية مرحلة متقدمة في بناء المآذن الإسلامية فقد فاقت ما يشابهها من المآذن المعاصرة الحداث وسنجر وداقوق، ولولا الخراب الذي حل بالجزء العلوي منها، واندثار بعض زخارفها لقلنا إنها من أجمل المآذن الأسطوانية الشكل.

وبالنسبة للميلين في هذه المئذنة فهي كبقية المآذن الأخرى فقد حصل فيها ميل باتجاه الجنوب الشرقي .

قائمة المصادر والمراجع

- ابن المستوفي: شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد الأربيلي، (ت/ 637هـ / 1239م)، 1980، تاريخ أربيل، المسمى نباهل البلد الخامل يمن ورده من الأمائل، حققه وعلقه عليه سامي بن السيد خماس القهار، قسامين، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ / 1261م) (1997)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج 2، دار الكتاب العربي، ط 1، دمشق.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت / 732هـ / 1331م)، 1840، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس.
- أبو حجر: أمانة إبراهيم، 2001، موسوعة المدن العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- أحمد: جمال رشيد و رشيد: فوزي، 1990، تاريخ الكورد القديم، أربيل.
- إسماعيل: زبير بلال، 1998، أربيل والفتح الإسلامي، مجلة شاندر، عدد، 5، دائرة الآثار لإقليم كردستان، أربيل، ص 52-56.
- آغا: عبد الله أمين، 2004، معركة أربيل (كوكملا) 331 ق.م، المكتبة الوطنية، أربيل.
- الباشا: عبدالرحمان، 2007، أربيل قبل وبعد سبعة آلاف عام من الحياة المتواصلة في القلعة، مجلة الصوت الآخر، عدد 135، مؤسسة ثاراس، أربيل.
- باقر: طه، 1974، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، دار البيان، بغداد.
- باقر: طه و علي: فاضل عبد الواحد وسليمان: عامر، 1987، تاريخ العراق القديم، ج 1، مطبعة جامعة صلاح الدين، بغداد.
- باقر: طه و فؤاد سفر، 1966، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الخامسة بغداد - أربيل، مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد.
- البلاندري، للإمام أبي الحسن، 1983، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجاوشلي، هادي رشيد، 1985، تراث أربيل التاريخي، مطبعة جامعة الموصل، الموصل.

الجنابي، هاشم خضر، 1987، مدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الوصل.

جميل، فؤاد، 1969، حدياب... أربيل... وعشتار -أربيل، مجلة سومر، ع 25، بغداد، ص 219-256.

حجارة، إسماعيل، 1970، دمي من تل قالينج آغا في أربيل، مجل سومر، جزء 1-2، عدد 26، بغداد.

الحسني، عبد الرزاق، 1982، العراق قديماً وحديثاً، دار اليقظة العربية، بغداد.
حسني: فرهاد حسن، 2000، الأسماء والتسميات في العراق القديم، مجلة شانيدر، ع 11، أربيل ص 117-121.

حسين : كامل، 1962، التنقيب حول المئذنة المظرفية في أربيل، مجلة سومر، عدد 22، ص 205-207.

حسين: محسن محمد، 1976، أربيل في العهد الأتابكي (522-630هـ/ 1128-1233م)، "بحث في أوضاع أربيل السياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية والثقافية في العهد الأتابكي: مطبعة أسعد، بغداد.

الحموي: شهاب الدين أبو عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/ 1228م)، 1995، معجم البلدان، المجلد الأول، والثالث، والرابع، والخامس، دار صادر، بيروت.

حميد: عيسى سلمان، 1985، العمارات الدينية (المساجد والمساجد الجامعة)، موسوعة (حضارة العراق)، ج9، بغداد ص 45-132.

الحيدري، عبد الباقي عبد الجبار، 1983، التجديد الحضري لقلعة أربيل (دراسة اجتماعية - اقتصادية وعمرانية) رسالة غير منشورة، جامعة بغداد.

درويش: محمود فهمي وجواد: مصطفى وسوسة: أحمد، 1960، دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960، دار المطبعة التمدن، بغداد.

- ديركي: ازاد، 1998، المدن الكوردية، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ط1، أربيل.
- ريج: كلوديوس، 1958، رحلة ريج 1820، ت/ بهاءالدين نوري، مطبعة السكك الحديدية، بغداد.
- ساكز: هاري، 1999، قوة آشور، ت/ عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي، بغداد.
- سلمان : عيسى، ونجاة يونس ونجلة العزي وهناء الخالق، 1982، العمارات العربية الإسلامية في العراق، ج 1 ، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- سليمان: عامر والفتيان: أحمد مالك، 1987، محاضرات في التاريخ القديم، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد.
- عبد الصمد: رافدة عبد الله، 2004، أربيل في المصادر المسمارية استعراض تاريخي لأدوار التاريخية، (المؤتمر العلمي الدولي الأول لأعمار قلعة أربيل 27-29/3/2004)، سلسلة مطبوعات دائرة الآثار لإقليم كردستان، أربيل، ص 98-102.
- العزاوي، عباس، 1935، تاريخ العراق بين الاحتلالين -1- حكومة المغولية (656-738 هـ / 1251-1338 م)، مطبعة بغداد، بغداد.
- فرنسيس: بشير وعواد: كوركيس ، 1952، أصول أسماء الأمكنة العراقية، مجلة سومر، ع 8، ج 2، بغداد.
- القزاز : وداد علي، 1960، المنارة المظفرية في أربيل تاريخها و وصفها ، مجلة سومر، عدد 20، ص 127-129.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت/ 682 هـ / 1248م)، 1960، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت.
- كه زنه ي، عبد الرحمان أحمد، 1997، أربيل وماء الشرب في الماضي والحاضر، مطبعة وزارة التربية لإقليم كردستان، أربيل.
- اللجنة الإعلامية لمهرجان يوم محافظة أربيل ، 1986، أربيل هه ولير بين الماضي والحاضر، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

محمد: خليل إسماعيل، 2003، أربيل دراسات ديموغرافية - اقتصادية، ط1، مطبوعات وزارة الثقافة لإقليم كردستان، أربيل.

نيبور: كارستن، 1965، رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ت/ محمود حسين الأمين، مراجعة سالم الألوسي، دار الجمهورية للطبع والنشر، بغداد.

يوسف: شريف 1982، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.

المراجع الأجنبية:

Abid: Salima Abdulrasul، 2004، Methods of ancient monument protection and its future applications in Erbil citadel، (The First International Scientific Conference For Renovation of Hawler (Erbil) Citadel 27-29\3\2004)، Erbil، p 10-13.

Hersfeld and Sarre، 1920، Archaeologische Reise im Euphrat und Tigris Gebiet، Berlin.

Jabri: Muthafar Ali ، 2004، Erbil Citadel Historical and Aesthetic Importance، (The First International Scientific Conference For Renovation of Hawler (Erbil) Citadel 27-29\3\2004)، Erbil، p 22-24.

Michell: George، 1984، Architecture of the Islamic Word، Text by....، Thames and Hudson Ltd، London.

Ramith: Salah Suleiman، 2004، Erbil Citadel in scientific and antique scenes، (The First International Scientific Conference For Renovation of Hawler (Erbil) Citadel 27-29\3\2004)، Erbil، p 44-45.

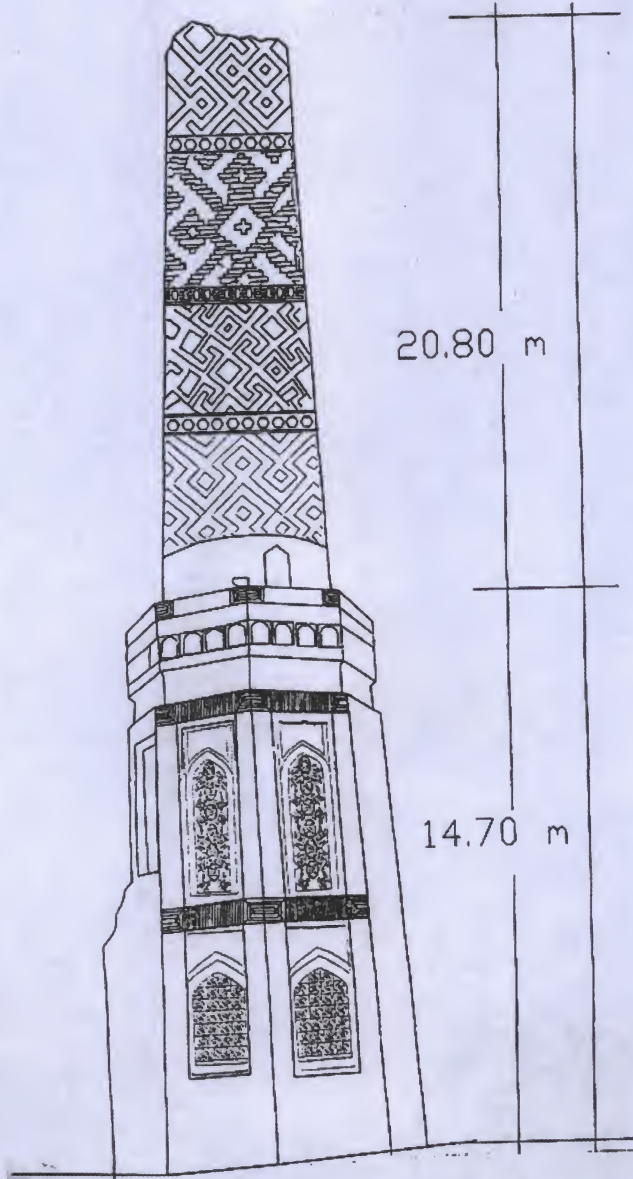


مدينة أربيل و مئذنتها ضمن خريطة العراق
(خريطة/1)



(شكل 1)

مئذنة أربيل



(مخطط 1)

مخطط منڈنة أربیل



(شكل 2)

المدخل الشرقي لقاعدة مئذنة أربيل



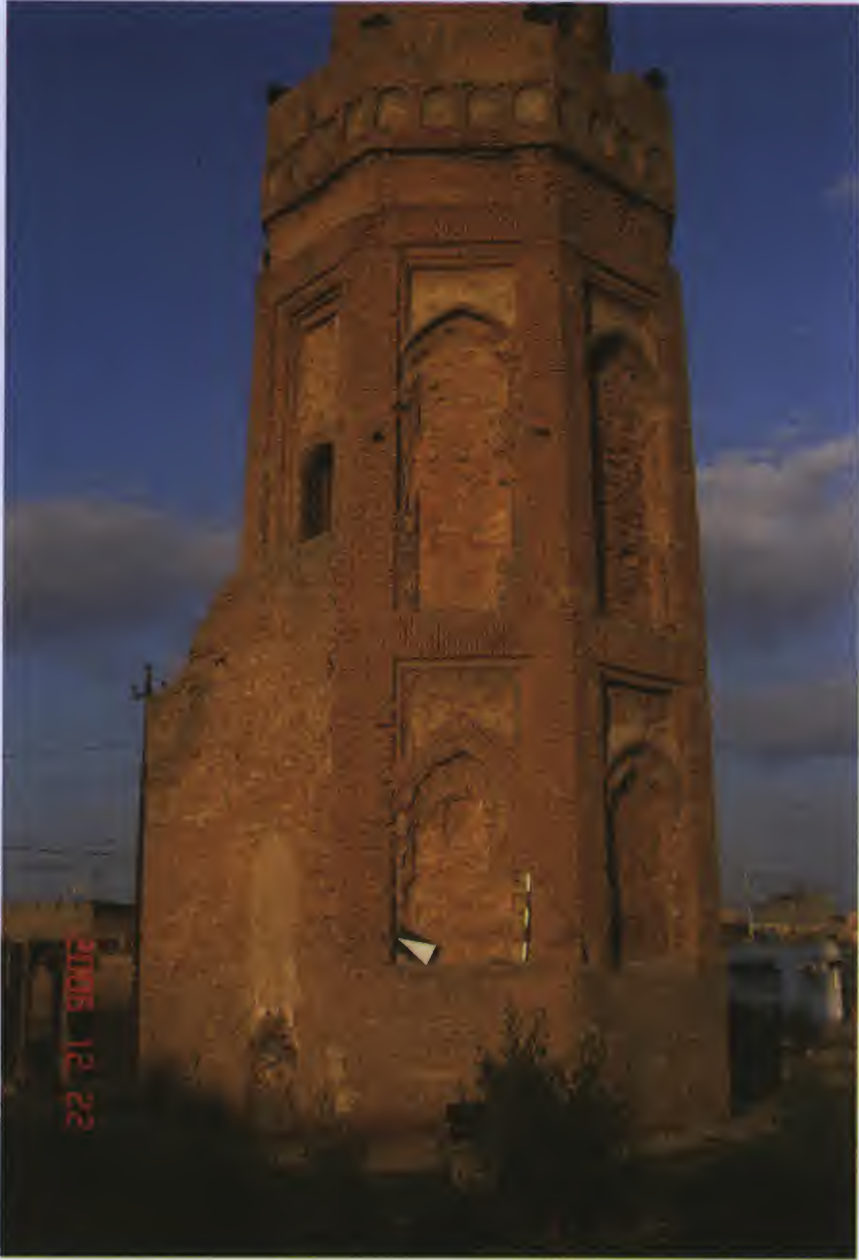
(شکل 3)

المدخل الغربي لقاعدة مئذنة أربيل



(شكل 4)

السلم الخارجي من داخل المئذنة

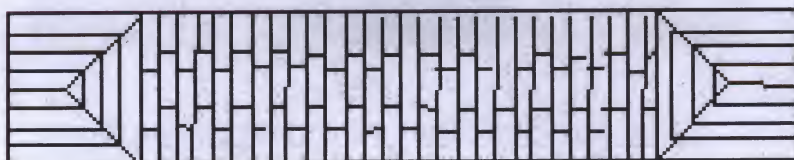


(شکل 5)
قاعدة مئذنة أربيل



(شكل 6)

الشريط الزخرفي في قاعدة مئذنة أربيل



(مخطط 2)

الشريط الزخرفي في قاعدة مئذنة أربيل



(شکل 7)

النافذة في الجهة الغربية في القسم الثاني من القاعدة



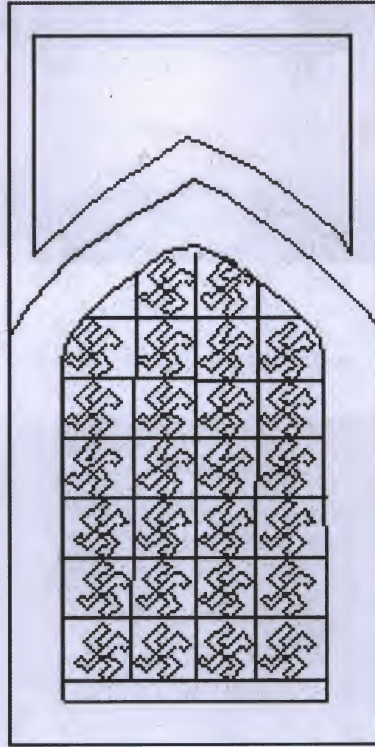
(شكل 8)

النص الكتابي فوق نافذة في الجهة الغربية القسم الثاني من القاعدة



(شكل 9)

زخرفة الحنية الشرقية في القسم الأول من القاعدة



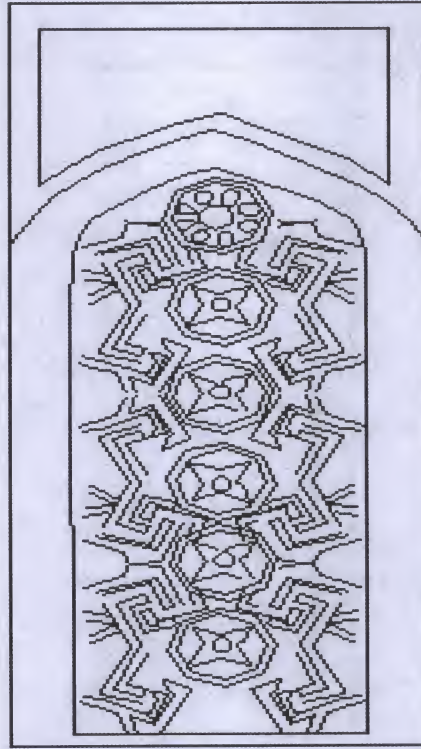
(مخطط 3)

زخارف الحنية الشرقية في القسم الأول من القاعدة



(شكل 10)

زخارف الحنية الشرقية في القسم الثاني من القاعدة



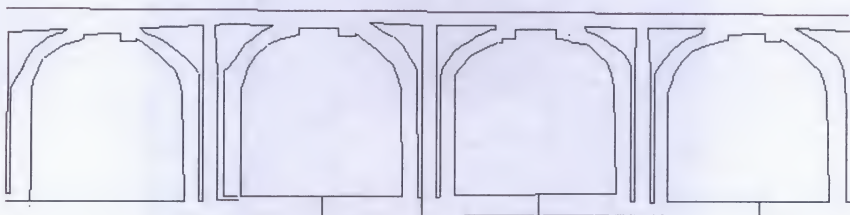
(مخطط 4)

زخرفة الحنية الشرقية في القسم الثاني من القاعدة



(شكل 11)

الحنايا الأربعة في كل ضلع للقسم الثاني من القاعدة



(مخطط 5)

الحنايا الأربعة في كل ضلع للقسم الثاني من القاعدة

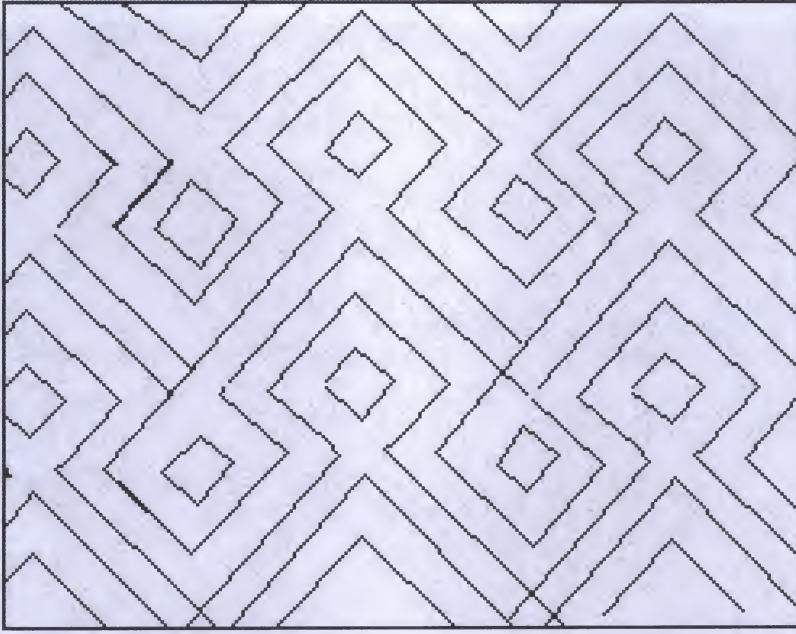


(شکل 12)

بدن مئذنة أربيل



(شكل 13)
النطاق الأول من البدن

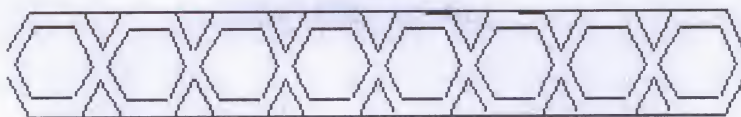


(مخطط 6)

النطاق الأول من البدن



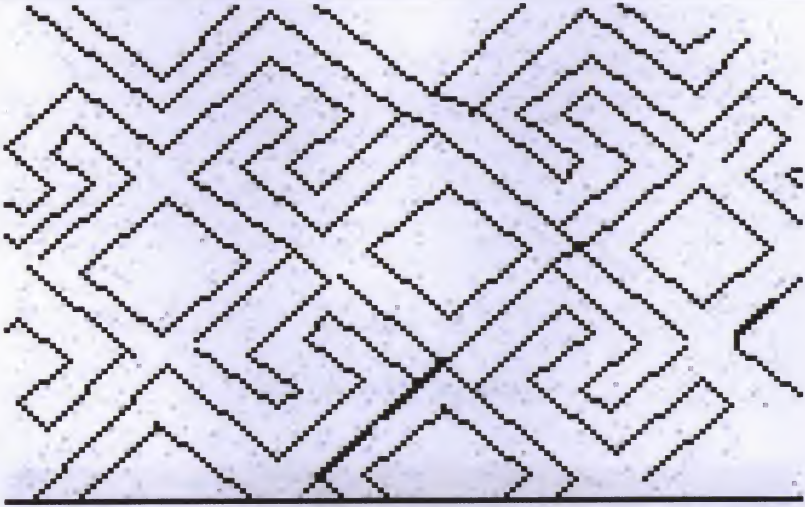
(شكل 14)
الشريط الأول من البدن



(مخطط 7)
الشريط الأول من البدن



(شکل 15)
النطاق الثاني من البدن



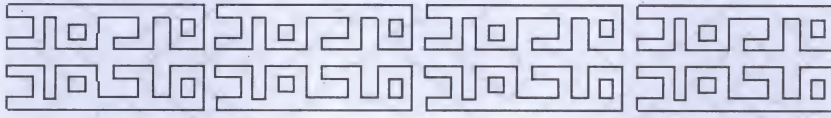
(مخطط 8)

النطاق الثالث من البدن



(شكل 16)

الشريط الثاني من البدن



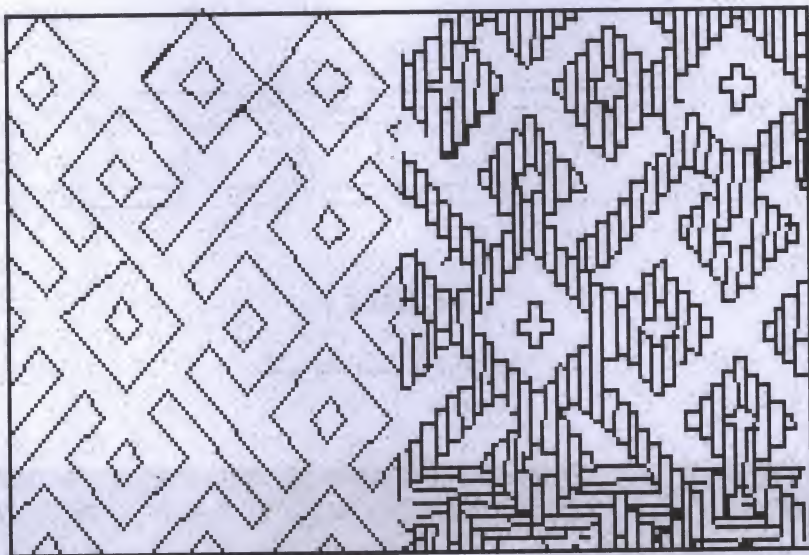
(مخطط 9)

الشريط الثاني من البدن



(شكل 17)

النطاق الثالث من البدن



(مخطط 10)

النطاق الثالث من البدن



(شكل 18)

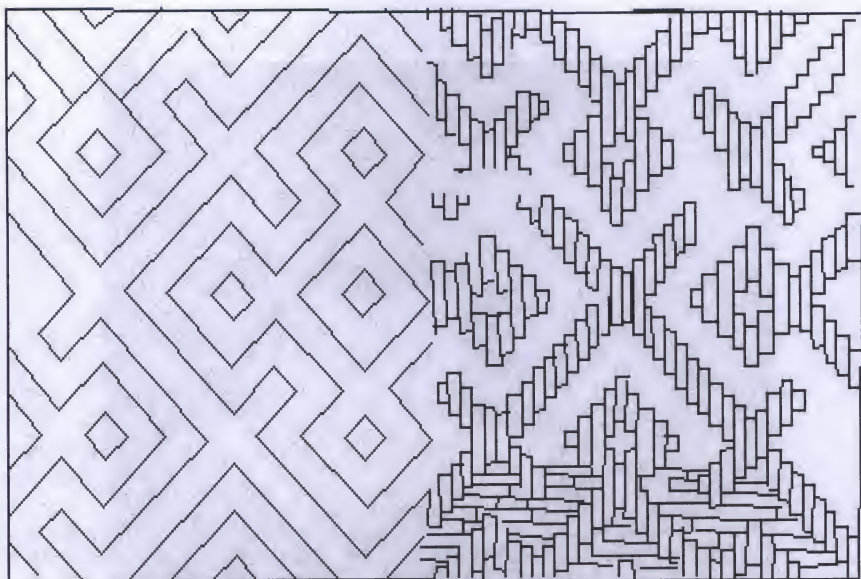
الشريط الثالث من البدن



(مخطط 11)
الشريط الثالث من البدن



(شكل 19)
النطاق الرابع من البدن



(مخطط 12)

النطاق الرابع من البدن



(شكل 20)

بقايا الشريط الرابع من البدن



(شکل 21)
إحدى نوافذ البدن

الهوامش

- 1- الزاب الأعلى ينبع من جبال هكاري في كردستان تركية والزاب الأسفل ينبع من كردستان إيران (ديركي، 1998: 154-155).
- 2- وهو أحد الكهوف في كردستان العراق، يقع في الجانب الجنوبي من جبال (برادوست) ويطل على وادي الزاب الأعلى بالقرب من مركز ناحية شانيدر، تم اكتشاف هذا الكهف من قبل دائرة الآثار والتراث وجرت أعمال التنقيب فيه من قبل بعثة أمريكية سنة 1951م واستمرت لمدة عشر سنوات (أحمد و رشيد، 1990: 10-44).
- 3- يقع تل فالينج آغا في مدينة أربيل على بعد كيلومتر واحد من جنوب قلعتها، وهو مستوطن كبير مساحته حوالي 33 ألف متر مربع وارتفاعه عن السهل للمجاور حوالي 7م، وأسفرت أعمال التنقيبات فيه عن استظهار بعض الأدوات التاريخية ومنها عصر الوركاء وعصور أخرى أعقبها (حجارة، 1970: 31).
- 4- الاكديين من الأقوام الذين جاء و من الجزيرة إلى وادي الرافدين ولغتهم تعود إلى عائلة لغات الجزيرة التي تفرعت إلى فروع منها (الاكدية والبابلية والآشورية والعربية والعبرية والآرامية) وهي تسمى باللغات السامية (طه وآخرون، 1987).
- 5- الكويتيون من الأقوام (هندو أروبية) القديمة في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهرزور، أي المنطقة المحصورة ما بين نهري الزاب الأسفل ونهر ديالى واتخذوا من اربخا (كركوك الحالي) مركزا لهم (أحمد و رشيد، 1990).
- 6- العلامةيون: من الأقوام (الهندو أروبية) وكانت مدينة سوسة عاصمة مملكتهم (درويش وآخرون، 1960: 129).
- 7- الآموريون: من أكبر الأقوام السامية في بلاد الشام نزحوا إلى بلاد الرافدين (باقر، 1974: 405).
- 8- فقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى عاصمتهم أشنونا في ديالى (تل أسمر حاليا) وهذه المملكة تقع إلى الشرق من دجلة على الطريق الذي يربط بلاد الرافدين بعيلام (باقر، 1974: 405).
- 9- إحدى المدن القديمة التي كانت تقع في منطقة الرمادي وقد ورد ذكرها في عهد نرام سين أحد ملوك ملكة أشنونا في حدود (1830 ق.م) تقريبا (باقر، 1974: 417).
- 10- لأنها كانت في مكان خالٍ من السكان قبل فترة من الوقت الحالي وكلمة جولي بالكوردية بمعنى الخالي.

- 11- دراسة ميدانية .
- 12- دراسة ميدانية.
- 13- دراسة ميدانية.
- 14- دراسة ميدانية.
- 15- دراسة ميدانية.
- 16- دراسة ميدانية.
- 17- دراسة ميدانية.
- 18- حديث شخصي بتاريخ 2007/5/29 مع الأستاذ كاظم محمد كاطع الزبيدي مدير مشروع أعمال التنقيب والصيانة في مدينة الحضر الأثرية لعام 1994.
- 19- دراسة ميدانية.